جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة الثامنة

محاضرات عصر الرسالة

م.د. أزهار غازي

٢٠١٥ م

١٤٣٦هـ

لقد بلغ عدد قتلى المشركين في هذه المعركة سبعين قتيلا وسبعين أسيراً ، في حين عدد شهداء المسلمين في المعركة أربعة عشر فقط ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار(٩٢) ، وقد كان بين قتلى قريش ابرز زعمائهم من رجال الملأ من امثال عتبة ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبي جهل بن هشام وأمية بن خلف ، وأبي البختري بن هشام ونبيه ومنبه ابني الحجاج وغيرهم (٩٣).

لقد شعر المسلمون بالفخر والسرور نتيجة لهذا النصر الحاسم الذي حققوه على المشرك على الرغم من أن عددهم لم يكن يوازي سوى ثلث عدد المشركين. ومن الطريف أن أح الأنصار وهو مسلمة بن سلامة قال للناس الذين خرجوا لتهنئة الرسول ﷺ بالنصر الذ أحرزه على مشركي مكة في بدر: «ماالذي تهنئوننا به؟ فوالله ان لقينا الاّ عجائز صل كالبدن المعقلة فنحرناها. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي، أولئك الملأ» (٩٤) – أي الاشراف والرؤساء –.

وقد ذكر الواقدي أن الرسول ﷺ استنكر هذا القول لأنه عده تقليلاً من قيمة النص الكبير الذي حققه المسلمون على المشركين بفضل الله ومعونته. لذا فانه اجابه بقوله: «يابن أخي ، أولئك الملأ ، لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا ذلك لنبيهم» (٩٥).

وهكذا نلحظ أن القائد العظيم لا يبخس قيمة الرجال الآخرين ومكانتهم حتى لو كانوا من ألد أعدائه ، وهو يذكر لهم اقدارهم وهو في ذروة انتصاره عليهم.

ب. **نتائج معركة بدر:**

كانت معركة بدر من المعارك الفاصلة في تاريخ الاسلام ، وقد ترتب على انتصار المسلمين فيها نتائج متنوعة سواء على المستوى الاقتصادي او السياسي أو الاجتماعي او التشريعي. لذا فان فهم التطورات التي اعقبت هذه المعركة تتطلب دراسة النتائج التي نشأت عنها بصورة دقيقة.

---

(٩٢) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٦٠٧– ٦١٤.
(٩٣) المصدر نفسه، ق ١، ص ٦٤٦.
(٩٤) المصدر نفسه، ق ١، ص ٦٤٣.
(٩٥) الواقدي: المغازي: ج ١، ص ١١٦.

رسول الله ﷺ ، فقسمه بيننا على بواء – يقول : على السواء – وكان في ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذات البين (٩٩) .

وهكذا فقد أمر الرسول ﷺ المقاتلين كافة بأن يردوا « الأسرى والأسلاب وما أخذوا في المغنم ، ثم أقرع بينهم في الأسرى ، وقسم الاسلاب التي نفل الرجل نفسه في المبارزة ، وما أخذه في العسكر ، فقسمه بينهم عن فواق – أي بالتساوي » (١٠٠) .

قال ابو عبيد ، ان الرسول ﷺ قد قسّم غنائم بدر « على ماأراده الله ، من غير ان يخمسها » (١٠١) . فلما نزلت ﴿واعلموا ان ماغنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل..﴾ (١٠٢) ، أخذ يقسّم الغنائم وفقاً لأحكام هذه الآية .. فكانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس : « فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد مقسم على اربعة ، فربع لله ولرسوله ولذي القربى ... والربع الثاني لليتامى ، والثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين » (١٠٣) .

ويلاحظ ان العرب كانوا يخصصون لرئيس القبيلة ربع الغنيمة ، ويقسمون ماتبقى على المقاتلين . وقد أشير الى ان اول من خرج على هذه القاعدة من المسلمين فخمس الغنائم وخصص لله وللرسول ﷺ الخمس هو عبدالله بن جحش حينما خمس غنائم سرية نخلة ، وكان ذلك اجتهادا منه قبل بدر وقبل نزول سورة الأنفال » (١٠٤) .

٢ – وكانت المسألة الثانية التي ترتبت على انتصار المسلمين في معركة بدر هي مسألة الأسرى . فقد أسر المسلمون في هذه المعركة سبعين أسيرا ، وهو عدد كبير اذا قيس بنسبة عدد مقاتلي المسلمين والمشركين ووسائل القتال في ذلك العصر (١٠٥) .

---

(٩٩) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٦٦٦ – ٦٦٧ .

(١٠٠) الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ١٠ .

(١٠١) ابو عبيد : الأموال ، ص ٣٠٥ ، الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(١٠٢) سورة الأنفال ، الآية ٤١ .

(١٠٣) ابو عبيد : الأموال ، ص ١٣ – ١٤ .

(١٠٤) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٦٠٣ ، الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ١٧ – ١٨ .

(١٠٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢ .

وتوحي الآيات القرآنية التي نزلت حول الأسرى الى ان اللّه تعالى لم يكن يريد المسلمين في أول معركة مع المشركين ان يكون لهم أسرى. وانما كان عليهم ان يلحقوا اكبر خسائر في الأرواح في صفوف المشركين لتأكيد ان المسلمين لايبغون من حربهم مع المشركين الحصول على المغانم وفدية الأسرى. جاء في سورة الانفال: ﴿ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض، تريدون عرض الدنيا واللّه يريد الآخرة، واللّه عزيز حكيم، لولا كتاب من اللّه سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا اللّه ان اللّه غفور رحيم﴾ (١٠٦).

وقد ذكرت المصادر ان الرسول ﷺ حين استشار المسلمين فيما يفعل بالأسرى، اختلفوا في ذلك الى رأيين فذهب أصحاب الرأي الاول وكان بينهم عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ الى قتلهم لأنهم «رؤوس الكفر وأئمة الضلالة يوطئ اللّه عز وجل — بقتلهم — الاسلام، ويذل بهم أهل الشرك» (١٠٧). اما الرأي الثاني فقد عبر عنه ابو بكر الصديق بقوله للرسول ﷺ: «قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والأخوان وبنو العم، وأبعدهم منك قريب، فامنن عليهم من اللّه عليك، او فادهم يستنقذهم اللّه بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين، فلعل اللّه يقبل بقلوبهم اليك» (١٠٨).

لقد كان رأي ابي بكر الصديق أقرب الى عقل الرسول ﷺ وقلبه بما عرف عنه من ميل الى العفو والسماحة، فقرر الأخذ برأيه (١٠٩). فأمر بحجز الأسرى، ريثما تتم مفاداتهم أو اطلاق سراح غير القادرين على فداء أنفسهم منهم.

وقد أوصى الرسول ﷺ اصحابه بحسن معاملة الأسرى، فقال: «استوصوا بالأسرى خيرا» (١١٠). لذا فقد روى عن ابي العاص بن الربيع، وكان من جملة الأسرى، وهو زوج زينب بنت رسول اللّه ﷺ، قوله: «كنت مع رهط من الأنصار جزاهم اللّه خيرا، كنا اذا تعشينا او تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل والتمر زادهم، حتى ان الرجل لتقع في يده الكسرة فيدخلها اليّ» (١١١). وكان الوليد بن المغيرة — وهو أسير آخر — «يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون» (١١٢).

---

(١٠٦) سورة الأنفال، الآية ٦٧ — ٦٩؛ ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٦٧٦.
(١٠٧) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٠٨.
(١٠٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٩ — ١١٠.
(١٠٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٩.
(١١٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٩.
(١١١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٦.
(١١٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٩.

في سورة محمد : ﴿حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منّا بعد واما فداء﴾ (١١٧) . وبذلك فقد اصبحت القاعدة الشرعية في التعامل مع الاسرى هي اخذ الفدية من القادرين على دفعها ، والعفو عن غير القادرين .

لقد اوردت المصادر ان الرسول ﷺ قد أمر بعد معركة بدر بقتل اثنين من الاسرى هما الفوز بن الحارث وعقبة بن ابي معيط لأنهما كانا من اشد الناس اذى للرسول ﷺ والمسلمين ، فلم ينظر اليهما الرسول ﷺ بصفتها اسيرين بل بصفتها مجرمي حرب (١١٨) .

وان مما يجدر ذكره في هذا المجال ان الرسول ﷺ قد حرم على المسلمين التمثيل في الاسرى حتى لو كان ثمة مبرر لذلك ، فقد ذكر ابن اسحاق ، ان عمر بن الخطاب قال للرسول ﷺ : «يارسول الله دعني انزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، — اي اسنانه الامامية — ويدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : لا امثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا» (١١٩) ، وفي رواية ان الرسول ﷺ اضاف على ذلك قوله : انه عسى ان يقوم مقاما لاتذمه» (١٢٠) .

٣. لقد كان انتصار المسلمين في معركة بدر مناسبة لنزول سورة الانفال ، التي تولت معالجة القضايا التي نشأت عن هذا الانتصار مثل مسألة الغنائم والاسرى ، فضلا عن استخلاص الدروس والعبر ، وتوجيه المسلمين الى ماينبغي عليهم عمله من اجل المحافظة على قوتهم ووحدتهم . وكانت اهم الامور التي اكدت عليها سورة الانفال فضلا عن ماسبق ايضاحه مايأتي :

أ. دعت المسلمين الى ان يجمعوا من وسائل القوة المختلفة مايجعلهم اقوياء وقادرين على ادخال الخوف في نفوس الاعداء كي لا يتجرأوا على مقاتلتهم : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم﴾ (١٢١) .

ب. اكدت سورة الأنفال اهمية الإيمان والصبر في احراز النصر على الاعداء فقررت ان المؤمن الصابر في القتال من الممكن ان يغلب عشرة من الذين كفروا : ﴿ياأيها النبي

---

(١١٧) سورة محمد ، الآية ٤ .

(١١٨) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٦٤٤ ، الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(١١٩) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٦٤٩ .

(١٢٠) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦٤٩ .

(١٢١) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

وقد روى بشأن معاملة الأسرى أن أم سلمة زوجة الرسول ﷺ ، جاءت اليه تستأذنه بشأن معاملة كل من خالد بن هشام بن المغيرة وأمية بن ابي حذيفة بن المغيرة ، وهما ابنا عم لها ، وكانا أسيرين . فقالت «ياسول اللّه ، ان بني عمي طلبوا ان يدخل بهم عليّ فأضيفهم ، وأدهن رؤوسهم ، وألم شعثهم ، ولم أحب أن أفعل ذلك حتى استأمرك ، فقال رسول اللّه ﷺ : لست اكره شيئا من ذلك ! فافعلي ما بدا لك» (١١٣) .

ولم يحاول الرسول ﷺ التشدد في شروط فداء الأسرى ومطالبة كل اسير يوضع مبلغ محدد من المال على الرغم من حاجة المسلمين الماسة اليه في ذلك الوقت ، بل قبل من كل أسير ما يتناسب مع قدرته المالية . اما المعوزون الذين لامال لهم فقد مّن على قسم منهم وطلب من القسم الآخر الذين يحسنون القراءة والكتابة ان يعلم كل واحد منهم عشرة صبيان من اولاد الانصار مقابل اطلاق سراحه . اورد الواقدي رواية عن مقدار فداء الأسرى جاء فيها ان نافع بن جبير سئل : «كم كان الفداء؟ قال : ازفعهم اربعة الاف – درهم – الى ثلاثة الاف ، الى الفين ، الى الف ، الى قوم لا مال لهم ، منّ عليهم رسول اللّه ﷺ» (١١٤) . كما اورد ابن سعد رواية تقول : «اسر رسول اللّه ﷺ ، يوم بدر سبعين اسيرا ، وكان يفادي بهم على قدر اموالهم ، وكان أهل مكة يكتبون واهل المدينة لايكتبون ، فمن لم يكن له فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم ، فاذا حذقوا فهو فداؤه» (١١٥) . وكان من جملة غلمان المدينة الذين تعلموا الكتابة على يد الاسرى زيد بن ثابت (١١٦) .

ويلاحظ ان المصادر لم تزودنا بمعلومات مفصلة عن الأسرى الذين دفعوا الفدية ، ومقدار فدية كل منهم ، وكذلك لم تسعفنا باية معلومات عن الاسرى الذين قاموا بتعليم صبيان الانصار وعدد الصبيان الذي تعلموا الكتابة على ايديهم ، مما يجعل من المتعذر علينا تقدير التأثير الاقتصادي والثقافي الذي تركه هذا الاجراء في مفاداة الاسرى على اهل المدينة .

ويبدو ان هذا الاسلوب الانساني في التعامل مع الاسرى قد اثبت جدواه وفاعليته في التطبيق . لذا فقد نزل القرآن الكريم باعتماده قاعدة اساسية في التعامل مع الاسرى . جاء

---

(١١٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٨– ١١٩ .
(١١٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
(١١٥) ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
(١١٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

حرّض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون﴾ (١٢٢).

ج. حرّمت سورة الانفال على المؤمنين ان يفرّوا من ساحة المعركة خوفا من الأعداء : ﴿ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يؤمئذ دبره الاّ متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من اللّه ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (١٢٣).

د. على الرغم من الانتصار الباهر الذي حققه المسلمون على اعدائهم في معركة بدر، فقد جاءت سورة الانفال لتؤكد الاهداف السلمية للدعوة الاسلامية وان من واجب المسلمين الجنوح للسلم ان جنح لها الاعداء : ﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على اللّه﴾ (١٢٤).

هـ. أكدت سورة الانفال ان المؤمنين من المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض ، وانهم وحدة يسودها الحب والتآلف. اما المؤمنون الذين اكتفوا باعلان ايمانهم دون ان يكلفوا انفسهم عناء الهجرة ، والجهاد الى جانب اخوانهم المسلمين فانه ليس على المسلمين واجب ولايتهم ، اي تحمل مسؤولية الدفاع عنهم ، حتى يهاجروا (١٢٥).

وقد أشارت المصادر الى ان بعض المستضعفين ممن فتنوا عن دينهم قد ساهموا تحت تأثير قومهم في محاربة المسلمين في معركة بدر. لذا فقد ادان القرآن الكريم موقفهم وعدّهم ظالمين لانفسهم ، وأن مصيرهم الى النار: ﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنّا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ (١٢٦). لقد ذكر ابن اسحاق أسماء عدد من هؤلاء المستضعفين فقال : «انهم كانوا أسلموا ، ورسول اللّه ﷺ بمكة ، فلما هاجر رسول اللّه ﷺ الى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم ، فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم الى بدر فأصيبوا به جميعا» (١٢٧).

---

(١٢٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٥.
(١٢٣) سورة الأنفال ، الآية ١٥ – ١٦.
(١٢٤) سورة الأنفال ، الآية ٦١.
(١٢٥) سورة الأنفال ، الآية ٦٣ ، ٧٢ – ٧٥.
(١٢٦) سورة النساء ، الآية ٩٧.
(١٢٧) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٦٤٤ ، الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ٧٢.

أكدت سورة الأنفال وجوب طاعة الرسول ﷺ بصورة جازمة وحذرت من مغبه معصيته ، مما يشعر بحصول بعض المخالفات والتجاوزات على أوامر الرسول ﷺ في معركة بدر: ﴿ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ...﴾ (١٢٨) . ان الآيات الآنفة الذكر تدل على انه كان بين صفوف المسلمين بعض المنافقين الذي كانوا يتظاهرون بطاعة الرسول ﷺ وهم يعملون على معصيته . وان عدوى هؤلاء قد أخذت تسري بين صفوف بعض المسلمين مما اقتضى تنبيههم الى مخاطر ذلك الموقف : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبّن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب﴾ (١٢٩) .

لقد اصبح مركز الرسول ﷺ السياسي في المدينة بعد انتصاره في بدر قويا بحيث لم يعد بامكان اليهود والمنافقين والمشركين ان يتحدوا سلطاته التي تقررت في الصحيفة ، اذ اصبح من المؤكد بعد هذا الانتصار أنه يمتلك من وسائل القوة المادية مايساعده على ممارسة سلطاته الروحية والسياسية . لذا فقد ذكر الواقدي ان الرسول ﷺ حين «قدم بالأسرى اذل الله بذلك رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق الاّ خضع - أي خضع - عنقه لوقعة بدر» (١٣٠) .

ولم يقتصر اثر معركة بدر على تقوية مركز الرسول ﷺ السياسي في المدينة ، بل ان مكانته ومكانة دولة المدينة قد ارتفعت في انظار العرب ، وغدت في نظر الكثيرين منهم ممثلة للقوة الصاعدة التي استطاعت تحدي قوة مكة والتغلب عليها بشكل حاسم . وبذلك كانت معركة بدر جديرة بوصف «الفرقان» الذي وصفها به القرآن الكريم ، لأنها فرّقت بين الحق والباطل (١٣١) .

---

(١٢٨) سورة الأنفال ، الآية ٢٠ - ٢١ ، ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٦٦٩ .

(١٢٩) سورة الأنفال ، الآية ٢٥ .

(١٣٠) الواقدي : المغازي ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(١٣١) سورة الأنفال ، الآية ٤١ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ٢٠